

المقرية المنتجة

يغيبني جداً أن يطلب أهل المدينة من القرية أن تكون منتجة ، وهم أنفسهم لا ينتجون ، بل ويقصدون أحياناً أن يأتي إليهم إنتاج القرية وهم دائمون ، وفي كل الأحوال فإنهم يريدون أن يجعلوا القرية تكفي نفسها بنفسها كما كانت (أيام زمان) ! والواقع أن هذه (الأيام زمان) لم تعد موجودة ، كما أنها لن توجد في المستقبل ، نظراً للتطورات التي لحقت بالإنسان في كل من المدينة والقرية على السواء ، ليس فقط عندنا ، بل في كل أنحاء العالم .[□] والذي يريد أن يتأكد من ذلك عليه أن يقوم بحسبة بسيطة بين عدد المتعلمين في أي قرية مصرية منذ عشرين أو ثلاثين سنة وبينهم الآن ، وحسبة أخرى بين عدد المنازل التي بنيت بالطوب الحجري والمنازل ذات الطوب الملبن (التي كانت تشرب من (الطرمبة) والتي تشرب الآن مباشرة من الحنفيات ، ثم أخيراً عدد أجهزة الراديو والتليفزيون والفيديو التي انتشرت في القرية ، وحلت محل (السامر) الذي لم يكن يظهر بها إلا في أيام معدودة ، ومناسبات قليلة جداً طوال العام .

صحيح أن كل بيت في القرية كان لديه الفرن الذي يخبز فيه ، والمبكرة التي تدر اللبن ، فتخرج منه الزبدة والسمن والجبن ، ومجموعة الطيور التي تربي في الحوش كالأوز والبط والدجاج والحمام ، التي يستخلص منها اللحم الأبيض ، فإذا أضيف إلى ذلك بعض الخضر والفواكه التي تأتي من الحقول لم يعد هناك ما يدفع ابن القرية إلى شراء شيء من المدينة ، اللهم إلا ملابسه ، وأدوات عمله .

لكن سنة التطوير التي شملت كل المجالات ، لم تستثن القرية ، التي أدخلت البوتاجاز والثلاجة والتليفزيون وكل وسائل التقدم الحضاري الحديثة ، وهذه (الأجهزة)[□] غيرت من بعض العادات والتقاليد التي عرفتها القرية المصرية منذ آلاف السنين ، وأدخلتها بقوة إلى قلب العصر الحديث ، بل إن أساليب الزراعة القديمة قد بدأت تحل محلها أساليب جديدة ، فمثلاً غمر الأرض بالماء ثبت أنه أقل فائدة من ريها بالرش أو التنقيط ، وزراعة محاصيل معينة ظهر أنها تدر ربحاً أكثر من محاصيل أخرى لم يكن يعرف غيرها الفلاح .

لقد تغير كل ذلك ، والوحيدة التي يبدو أنها لم تتغير هي نظرة أهل المدينة للقرية المصرية . فهم يريدونها أن تظل على حالها كما كانت بالأمس القريب ، بل والأمس البعيد ! لذلك فإنني أقول لهؤلاء : أن القرية المصرية كانت منتجة في الماضي ، وما زالت منتجة في شكلها الجديد . والدليل على ذلك أنك إذا تجولت في الريف المصري كله لن تجد شبراً من الأرض القابلة للزراعة غير مزروع[□] ![□] والدليل على ذلك أيضاً أن الإنتاج الزراعي يتزايد باستمرار ، وقد شهدنا ما حدث لمحصول الأرز هذا العام . فقد زاد الإنتاج عما تتطلبه حاجة البلاد .

وتمثلت المشكلة في كيفية التصدير ، وهذا من صميم اختصاص أهل المدينة : فماذا فعلوا ؟

تحية للقرية المصرية التي تنتج في صمت ، وتحية للفلاح المصري الذي ما زالت تغطي ريشته العبقريّة أرض مصر السوداء .. باللون الأخضر !

المقرية المنتجة

يغيبني جداً أن يطلب أهل المدينة من القرية أن تكون منتجة ، وهم أنفسهم لا ينتجون ، بل ويقصدون أحياناً أن يأتي إليهم إنتاج القرية وهم دائمون ، وفي كل الأحوال فإنهم يريدون أن يجعلوا القرية تكفي نفسها بنفسها كما كانت (أيام زمان) ! والواقع أن هذه (الأيام زمان) لم تعد موجودة ، كما أنها لن توجد في المستقبل ، نظراً للتطورات التي لحقت بالإنسان في كل من المدينة والقرية على السواء، ليس فقط عندنا ، بل في كل أنحاء العالم . والذي يريد أن يتأكد من ذلك عليه أن يقوم بحسبة بسيطة بين عدد المتعلمين في أي قرية مصرية منذ عشرين أو ثلاثين سنة وبينهم الآن ، وحسبة أخرى بين عدد المنازل التي بنيت بالطوب الحجري والمنازل ذات الطوب اللبن (التي كانت تشرب من (الطرمبة) والتي تشرب الآن مباشرة من الحنفيات ، ثم أخيراً عدد أجهزة الراديو والتلفزيون والفيديو التي انتشرت في القرية ، وحلت محل (السامر) الذي لم يكن يظهر بها إلا في أيام معدودة ، ومناسبات قليلة جداً طوال العام .

صحيح أن كل بيت في القرية كان لديه الفرن الذي يخبز فيه ، والبقرة التي تدر اللبن ، فتخرج منه الزبدة والسمن والجبن ، ومجموعة الطيور التي تربي في الحوش كالأوز والبط والدجاج والحمام، التي يستخلص منها اللحم الأبيض ، فإذا أضيف إلى ذلك بعض الخضر والفواكه التي تأتي من الحقول لم يعد هناك ما يدفع ابن القرية إلى شراء شئ من المدينة ، اللهم إلا ملابسه ، وأدوات عمله .

لكن سنة التطوير التي شملت كل المجالات ، لم تستثن القرية ، التي أدخلت البوتاجاز والثلاجة والتلفزيون وكل وسائل التقدم الحضاري الحديثة ، وهذه (الأجهزة) (غيرت من بعض العادات والتقاليد التي عرفتها القرية المصرية منذ آلاف السنين ، وأدخلتها بقوة إلى قلب العصر الحديث، بل إن أساليب الزراعة القديمة قد بدأت تحل محلها أساليب جديدة، فمثلاً غمر الأرض بالماء ثبت أنه أقل فائدة من ريها بالرش أو التنقيط ، وزراعة محاصيل معينة ظهر أنها تدر ربحاً أكثر من محاصيل أخرى لم يكن يعرف غيرها الفلاح .

لقد تغير كل ذلك ، والوحيدة التي يبدو أنها لم تتغير هي نظرة أهل المدينة للقرية المصرية . فهم يريدونها أن تظل على حالها كما كانت بالأمس القريب ، بل والأمس البعيد ! لذلك فإنني أقول لهؤلاء : أن القرية المصرية كانت منتجة في الماضي ، وما زالت منتجة في شكلها الجديد . والدليل على ذلك أنك إذا تجولت في الريف المصري كله لن تجد شبراً من الأرض المقابلة للزراعة غير مزروع !¹ والدليل على ذلك أيضاً أن الإنتاج الزراعي يتزايد باستمرار ، وقد شهدنا ما حدث لمحصول الأرز هذا العام . فقد زاد الإنتاج عما تتطلبه حاجة البلاد .

وتمثلت المشكلة في كيفية التصدير ، وهذا من صميم اختصاص أهل المدينة : فماذا فعلوا ؟

تحية للقرية المصرية التي تنتج في صمت ، وتحية للفلاح المصري الذي ما زالت تغطي ريشته العبقريّة أرض مصر السوداء .. باللون الأخضر !